

العلاج بالقرآن: دراسة مفاهيمية في معانيه الصحية الشاملة

"وجهة نظر طبية"

أ.د. عبداللطيف المر

يُعدّ العلاج بالقرآن الكريم أحد المفاهيم في الأخلاق الصحية الإسلامية، إذ يتصل بالصحة الروحية والنفسية للإنسان، غير أن إساءة فهمه في بعض السياقات المعاصرة أدت إلى خلطٍ خطير بين الرعاية الإيمانية المشروعة وبين إلغاء الطب والعلاج المبني على الدليل. تهدف هذه الدراسة إلى تحرير مفهوم الشفاء في القرآن الكريم، وبيان المنهج النبوي في الجمع بين الإيمان والتداوي، مع رفض الدجل الطبي والروحي. وتعتمد الدراسة التي جاءت في 3 أبواب رئيسية على النصوص الشرعية، ومواقف العلماء، والشواهد التاريخية، إضافة إلى الربط بالتصورات الحديثة للصحة النفسية والصحة الشاملة، لا سيما في سياق شهر رمضان.

الباب الأول : العلاج بالقرآن ، شفاء لما في الصدور

.. وليس الشفاء العضوي

هناك ظاهرة شاعت في كثير من البلدان وتحدث عنها الخطباء في خطبهم والكتاب في مقالاتهم. وعرضت لها الاذاعات والتلفزيونات، بل عرضت لها القنوات الفضائية في بعض البرامج، هذه الظاهرة هي ظاهرة العلاج بالقرآن فهناك أناس زعموا انهم

متخصصون في العلاج بالقرآن، بل فتحوا عيادات علنية للعلاج بالقرآن، يذهب الناس إليهم في هذه العيادات كي يعالجونهم بالقرآن الكريم.

نحن نؤمن بأن القرآن هدى وشفاء كما قال تعالى: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد فصلت / ٤٤ . وقال تعالى: وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) - الإسراء / ٨٢ .

أولاً: مفهوم الشفاء في القرآن الكريم

ولكن ما معنى الشفاء هنا؟ هل هو الشفاء العضوي؟ بمعنى ان الانسان اذا أوجعه بطنه أو أوجعته عينه أو أحس بألم في جسده، فماذا عليه ان يفعل؟ هل يذهب الى عيادة القرآن أم يذهب الى الطبيب المختص الخبير في شأن هذا النوع من المرض؟

الذي رأيناه من سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم ..) وهديه، انه شرع الطب والدواء، كما أنه تداوى وأمر اصحابه بالتداوي، وكان يقول لبعض اصحابه رضوان الله عليهم اجمعين: اذهبوا الى الحارث بن كلدة الثقفي، وهو طبيب مشهور منذ الجاهلية عرفه العرب، فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينصحهم بالذهاب اليه.

كما جاء وصف القرآن الكريم لنفسه بأنه هدى وشفاء، غير أن التدقيق في السياق القرآني يبيّن أن الشفاء المقصود هو في المقام الأول شفاء القلوب والصدور من القلق، والاضطراب، والشك، والخوف، والانحراف القيمي.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾

—القرآن الكريم (يونس: 57)

وأغلب المفسرون على أن “ما في الصدور” يشمل أمراض القلوب والنفوس، وليس بالضرورة الأمراض العضوية المحضة، وهو ما يضع مفهوم العلاج بالقرآن في إطاره الصحيح.

طبيبا بني أنمار!

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعرفان الطب من بني أنمار فقال لهما: أيكما أظب؟، يعني أيكما احقق وأمهر في صناعة الطب؟ فأشاروا الى أحدهما فأمره ان يتولى هو علاج المريض، يعني ان الانسان يبحث عن أمهر الأطباء وأفضلهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

دلالتها المنهجية

من الوقائع الدالة على وضوح المنهج النبوي في هذا الباب، زيارة أطباء من بني أنمار إلى رسول الله ﷺ، حيث ذكر أمامه مريض، فطلب منهم أن يعالجوه، ولم يتولَّ علاج الحالة بالرقية وحدها. وتُعد هذه الواقعة شاهداً عملياً على أن النبي ﷺ لم يجعل العلاج بالقرآن أو الدعاء بديلاً عن التدخل الطبي عند الحاجة، بل جمع بين الأمرين في منظومة متكاملة.

الشرح التفصيلي والدلالات

1. المعنى اللغوي "أطب" من الطب، أي أيكم أكثر علماً وخبرة بالطب.
2. الدلالة الأولى: سؤال النبي عن المتخصص في الطب يدل على اعتراف بالطب كعلم مستقل.
3. الدلالة الثانية: توجيهه لهم للذهاب إلى الطبيب الأكثر مهارة يدل على تقدير الكفاءة المهنية.
4. الدلالة الثالثة: عدم توجيههم للاكتفاء بالدعاء أو الرقية يدل على أن الطب البشري سبب مطلوب.
5. الدلالة الرابعة: الحديث يؤسس لمبدأ التخصص في المجال الطبي.

الاستنباطات الفقهية:

- إقرار التخصص الطبي واحترام الخبرة المهنية.
- اعتبار الطب علماً دنيوياً يحتاج إلى دراسة وتخصص.
- أن العلاج المادي سبب شرعي لا يتعارض مع التوكل.
- رفض تحويل الرعاية الروحية إلى بديل عن الطب.

كما قال ايضاً (صلى الله عليه وسلم) ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه وجهله من جهله. وهذا أعط كل مريض أملاً في ان يجد لدائه علاجاً، وأعطى

الأطباء أنفسهم املا في أن يجدوا لكل داء دواء. فليس هناك داء عضال بمعنى انه لا علاج له، لا في الحال ولا في الاستقبال، بل كل مرض له علاج موجود، ولكن لم نعثر عليه بعد، فإذا أصاب دواء الداء برئ بإذن الله.

ولما سئل (صلى الله عليه وسلم): يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها وتقاة نتقيها؟ هل ترد من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله. يعني أن الأمراض من قدر الله، والأدوية من قدر الله، لماذا اذن نعتبر المرض من قدر الله ولا نعتبر الدواء من قدر الله؟ هذا من قدر الله وهذا من قدر الله، فنحن ندفع قدرا بقدر، ونرد قدرا بقدر هذه سنة الله، ان تدفع الأقدار بعضها البعض، تدفع قدر الجوع بقدر الغذاء، وقدر العطش بقدر الشرب، وقدر الداء بقدر الدواء.

هذه هي السنة الإسلامية، ومن أجل هذا شاع الطب بين المسلمين، وتقدم الطب تقديما هائلا في الحضارة الإسلامية. (كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم):

ويفسر العديد من العلماء المحدثين حديثه (صلعم) إنما الشفاء في ثلاث في شربة عسل، أو شرطة محجب أو لذعة بنار) ، فذكر الأنواع الثلاثة للدواء الذي يتناول عن طريق الفم، والجراحة، وهي شرطة المحجم او المشرط، والكي، وذلك هو العلاج الطبيعي،

وكان المسلمون أئمة العالم وأساتذته في الطب، وعرف منهم اسماء لامعة على مستوى العالم، مثل أبي بكر الرازي، وابن سينا، وابن رشد، والزهرراوي، وغيرهم من المسلمين، وكتب هؤلاء انتشرت في العالم مثل الحاوي للرازي، والقانون لابن سينا والكلبيات لابن رشد، و التصريف لمن عجز عن التأليف للزهرراوي، بل وجدنا من علماء المسلمين الفقهاء من يجيد الطب ابن رشد نفسه كان فقيها، ألف كتابه بداية المجتهد

ونهاية المقتصد في الفقه المقارن، وفخر الدين الرازي صاحب الكتب الشهيرة في التفسير والأصول وعلم الكلام وغيرها، قالوا : كانت شهرته في علم الطب لا تقل عن شهرته في علوم الدين، وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى، يعد من فقهاء الشافعية وترجم له تاج الدين السبكي في كتاب طبقات الشافعية على انه احد فقهاء هذا المذهب.

ولان المسلمين اعتمدوا سنة الله في الكون فقد اعتمدوا الطب ولم يعتمدوا على المعوذات التي انتشرت بين الامم من قبلهم ولم يعتمدوا على الاحجية والتائم وغيرها، التي اعتبرها النبي (صلى الله عليه وسلم) ضربا من الشرك.

صحيح ان الاسلام شرع لنا الأدوية الروحية، مثل الاستعاذة بالله والرقى والدعاء. فالانسان يرقى نفسه أو يرقى مريضه بقول: اللهم رب الناس اذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شفاء الا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما. أو أرقيك والله يشفيك، أو كما كان عليه الصلاة واسلام يرقى الاطفال الصغار مثل الحسن والحسين أعيدك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة. فالرقى والتعاويذ والأذكار والأدعية مشروعة، ولكن بجوار الاسباب المادية التي تكملها وتقويها الاسباب الروحية.

ولكن لا يكفي المسلم ان يذهب الانسان الى شخص يقول له اقرأ عليك القرآن أو المعوذات او أية الكرسي، ويكتفي بهذا. كيف ذلك إذا كان يعاني من مرض عضوي؟ فلا بد من علاج هذا المرض العضوي، وإذا كان مصابا بفيروس لا بد من علاج هذا الفيروس، فهذا هو الذي شرعه الإسلام وعاشه المسلمون، فنحن لم نر في الصحابة من فتح بيته، وقال: أنا متخصص في العلاج بالقرآن،

حتى النبي (صلى الله عليه وسلم)، وهو سيد المعالجين وسيد أطباء الروح لم يفعل هذا، وإنما شرع الطب وشرع التداوي بما يعهده الناس. وقد أشار القرآن الكريم الى ان بعض الاغذية فيها شفاء ودواء، مثل عسل النحل، بقوله تعالى: يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس - النحل / ٦٩. اما هؤلاء الذين فتحوا عيادات، مثلا ان فلان الفلاني يعالج بالقرآن ويذهب المغفلون والذين يصدقون كل ما يقال ولا يمتحنون الأمور بعقولهم، ارى هؤلاء يذهبون اليهم زرافات ووحدانا، ويدفعون النقود للشيخ، وبركة الشيخ الذي يزعم علاج هؤلاء بالقرآن، أو بإخراج الجن من أجسادهم وأحيانا رأيت مناظر فظيعة، مثل شخص يضرب ضربا مبرحا، او اشياء من هذا النوع،

الرقية الشرعية... المشروعية والضوابط

أقرّ الإسلام الرقية الشرعية ضمن ضوابط واضحة، فقال النبي ﷺ:

«لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك» — صحيح مسلم

ومن هذه الضوابط:

أن تكون بكلام الله أو الأدعية الثابتة

أن تخلو من الطلاسم والشعوذة

ألا تُستخدم وسيلة للاستغلال أو الإيذاء

وألا تؤدي إلى إهمال العلاج الطبي

وكل ممارسة تُخالف هذه الضوابط، خاصة تلك التي تتضمن عنفاً أو ادعاءات زائفة، تُعد انحرافاً دينياً وأخلاقياً.

ونحيل الى ما نشرته الصحف ووكالات الأنباء ، وما نعرفه جميعا وخاصة في الارياف ، ان بعضهم مات من الضرب في يد واحد من هؤلاء وقدم للمحاكمة، كل هذا لا أعتبر انه من الإسلام الصحيح، في شيء، انما يمكن إذا سحر الانسان أو نحو ذلك ان نعالجه بالاستعاذة والأذكار والرقى، وهذه الاشياء، على ان تكون معروفة ومفهومة، ولذلك اشترطوا في الرقية ان تكون باللغة العربية لا بلغات غير مفهومة او بحروف مقطعة لا نعرف ماذا فيها . وبذكر الله تعالى وصفاته، وألا تشتمل على شيء من الشركيات، فهذا هو الذي شرعه الاسلام، أما هذه الظواهر التي ابتدعها الناس فليس هذا من هدي الاسلام، ولا من عمل أصحابه ولا من عمل سلف الأمة في خير قرونها، وانما هي بدعة اخترعها الناس في هذا العصر، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن الإسلام شرع لنا ان نذهب في كل أمر الى خبرائه نسألهم عنه، ونستفتيهم فيه، سواء أكان في أمور الدين أم أمور الدنيا، كما قال تعالى: ولا ينبئك مثل خبير - فاطر / ١٤. وقال عز وجل: فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون - النحل / ٤٣. ففي امور الهندسة نرجع الى الخبراء من المهندسين، وفي أمور الدين نرجع الى علماء الدين الثقات.

اذن، فما معنى ان القرآن شفاء؟

وهنا نقول ان القرآن نفسه قد بين معنى الشفاء المذكور بإطلاق في بعض الآيات، فقد قيده آية اخرى يقول الله تعالى فيها: (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) - يونس / ٥٧. بينت الآية ان القرآن شفاء لما في الصدور من الشك والحيرة والعمى، وما فيها من الهم والحزن والخوف والقلق، ولذا كان من أدعية النبي (صلى الله عليه وسلم): «اللهم اجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي. وكل هذه الأمور المدعو لها أمور معنوية لا مادية تتعلق بالقلب والصدر لا بالجسد والأعضاء. إن القرآن الكريم لم ينزله الله تعالى ليعالج الامراض العضوية، وانما يعالج الناس امراضهم بحسب السنين التي وضعها الله في الكون، والتي بين القرآن انها سنن لا تتبدل ولا تتحول.

ونحن نؤكد على أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تحتويان على محاور هامة وأطر كلية عامة لتعزيز الصحة والوقاية من الأمراض، مثل التوجهات الاسلامية نحو الاعتدال في تناول الطعام وممارسة النشاط البدني وتجنب العلاقات الجنسية غير الشرعية، بالإضافة الى التعاليم الإسلامية الأصيلة في تعزيز الأبعاد الاجتماعية والروحانية والنفسية للصحة وهي كلها أبعاد متكاملة تؤكد على أهميتها منظمة الصحة العالمية .

الباب الثاني

العلاج بالقرآن والصحة النفسية

من شفاء الصدور إلى ترميم المعنى الإنساني

العلاج بالقرآن بوصفه دعمًا نفسيًا غير عضوي

لا يقدم القرآن نفسه كتاب علاجٍ طبي، ولا يضع وصفاتٍ للأمراض العضوية، ولا يدعو إلى إقصاء الطب أو الاستغناء عن العلم. لكنه، في المقابل، يضع الإنسان في قلب تجربة مختلفة: تجربة الشفاء المعنوي وترميم الداخل. فالقرآن يتحدث بوضوح عن «شفاء لما في الصدور»، وهي منطقة لا تقاس بالأشعة ولا تُختزل في التحاليل، بل تتصل بالقلق، والخوف، والحزن، وفقدان المعنى، واضطراب التوازن النفسي.

في هذا الإطار، يمكن فهم دور القرآن في مجال الصحة النفسية بوصفه دعمًا نفسيًا غير عضوي، يتوجّه إلى الاضطرابات التي لا تقوم على خلل بيولوجي مباشر، بل على اختلال في الفهم، أو التفسير، أو الإحساس بالأمان. وهي اضطرابات باتت شائعة في العالم المعاصر، حيث يتقدم العلم وتراجع الطمأنينة.

القرآن يعالج هذه المساحات عبر إعادة بناء المعنى. فهو لا ينكر الألم، لكنه يمنعه من التحول إلى عبث. ولا ينفي القلق، لكنه يعيد توجيهه. حين يقول:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

فهو لا يطلب من الإنسان الاستسلام، بل يمنحه إطارًا ذهنيًا يمنع الانهيار النفسي أمام الصدمة.

كما يعالج القلق الوجودي — وهو جوهر كثير من الاضطرابات النفسية الحديثة — بإعادة توطين الثقة، لا في السيطرة المطلقة، بل في التوكل الواعي:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

وهو منطوق يقترب كثيرًا من آليات "إعادة البناء المعرفي" في العلاج النفسي الحديث، دون أن يحمل لغته أو أدواته.

وتأتي التلاوة والذكر هنا، لا بوصفهما طقسًا صوتيًا، بل ممارسة معرفية-وجدانية، تُعيد تنظيم الانتباه والانفعال، وتمنح النفس إيقاعًا داخليًا أكثر استقرارًا. وهو ما يفسر حضور الفاتحة والمعوذات في الرقية الشرعية، باعتبارها نصوصًا جامعة للمعنى والحماية والطمأنينة، لا باعتبارها وصفات علاجية للأمراض.

بداية: لماذا يُعدّ القرآن عاملاً نفسيًا حاسمًا؟

في زمنٍ تتصاعد فيه معدلات القلق والاكتئاب واضطرابات التكيف، لم يعد السؤال المطروح هو: هل يحتاج الإنسان إلى العلاج؟ بل: بأي رؤية يُعالج؟ وبأي معنى يعيش ألمه؟

هنا يبرز القرآن الكريم بوصفه يحمل "كتالوج إسلامي" أعده رب العالمين ونصًا مؤسسًا لإعادة التوازن النفسي، لا عبر إنكار المعاناة، ولا عبر وعودٍ علاجية زائفة،

بل من خلال ترميم الداخل الإنساني: المعنى، والطمأنينة، والقدرة على الاحتمال.
فالقرآن لا يخاطب الجسد مباشرة، لكنه يخاطب ما يوجّه الجسد والسلوك والانفعال :

القلب والنفس.

يقول الله تعالى: ﴿وُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾،
ثم يحدّد موضع هذا الشفاء تحديداً دقيقاً: ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾.

وهنا تتجلى القيمة النفسية العميقة للإيمان: ليس في كونه بديلاً عن العلاج، بل في كونه
عامل حماية نفسية، وداعماً أساسياً للصحة النفسية غير العضوية.

الصحة النفسية: حيث يلتقي التعريف العالمي مع الرؤية الإيمانية

تعرف منظمة الصحة العالمية الصحة بأنها:

«حالة من الرفاهية البدنية والنفسية والاجتماعية الكاملة، وليس مجرد غياب المرض أو
العجز.» هذا التعريف، على بساطته، يُحدث نقلة نوعية في فهم الصحة النفسية؛ إذ
يجعلها مرتبطة بالرفاه والمعنى والقدرة على التكيف، لا فقط بزوال الأعراض. وهو
تعريف ينسجم بوضوح مع الرؤية القرآنية للإنسان ككائن متكامل، له جسد يحتاج
علاجاً، ونفس تحتاج توازناً، وروح تحتاج طمأنينة.

غير أن هذا التكامل — كما قرر الجزء الأول من المقال "العلاج بالقرآن" — لا يعني
الخلط بين الوظائف، بل يقتضي ضبط العلاقة بين الشفاء الروحي والتداوي العلمي،

حتى لا يظن البعض أن الإيمان أداة إنكار للطب، ولا يتحول الطب إلى ممارسة جافة لا تثبر غور الانسان.

كيف يخدم القرآن الصحة النفسية غير العضوية؟

في الاضطرابات النفسية غير العضوية — مثل القلق العام، الاكتئاب التفاعلي، التوتر المزمن، واضطرابات التكيف غير العضوية — يكون الخلل في الغالب معرفيًا. وجدانيًا، لا عضويًا. أي في طريقة فهم الإنسان لما يمرّ به، وتفسيره للأحداث، وتعامله مع المستقبل.

وهنا تتجلى الوظيفة النفسية العميقة للقرآن:

إعادة بناء المعنى

كثير من المعاناة النفسية الحديثة ناتج عن الشعور بالعبث وفقدان الغاية. والقرآن يعالج هذا الجذر حين يربط الألم بالحكمة، والمحنة بالسنن: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. هذا الإطار لا يُلغي الألم، لكنه يمنعه من التحول إلى انهيار نفسي.

خفض القلق الوجودي

القلق في جوهره خوف من المستقبل وفقدان السيطرة. والقرآن يعالجه بإعادة توجيه الثقة، لا بإنكار الواقع: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. وهو منطوق يتقاطع بوضوح مع آليات العلاج المعرفي الحديث في إعادة الهيكلة الإدراكية.

التهدئة وتنظيم الانفعال

الذكر وتلاوة القرآن بتدبر — لا كتلاوة صوتية مجردة — تُسهم في تهدئة الجهاز

العصبي، وتنظيم الانتباه، وتعزيز الإحساس بالأمان، وهو ما يجعلها وسيلة دعم نفسي فعّالة، دون ادعاء علاج طبي مباشر.

الإيمان يحثنا على طلب لعلاج العضوى

القرآن نفسه والسنة المطهرة تدعونا صراحة للبحث عن العلاج العضوى وهذا من أهم المفاهيم التي تحافظ على الصحة النفسية

السنة النبوية: دعم نفسي بلا تعطيل للعلاج

كما بيّن الجزء الأول من العلاج بالقرآن، جاءت السنة النبوية لتضع حدًا واضحًا لأي خلط بين الإيمان وإلغاء الأسباب. فقد أقرّ النبي ﷺ التداوي، ووجّه المرضى إلى الأطباء، وسأل عن أمهرهم، مؤسسًا لقاعدة منهجية واضحة: التوكل لا يناقض العلاج، بل يكتمل به. وفي الوقت نفسه، أسست السنة لمنظومة دعم نفسي قائمة على: الصبر، الرضا، القوة الإيمانية، إعادة تفسير الألم وهي مبادئ تلتقي جوهرياً مع العلاج النفسي الحديث، لا بوصفها بدائل، بل بوصفها أطراً قيمية داعمة.

ماذا تقول الأبحاث الحديثة عن القرآن والإيمان والصحة النفسية؟

تشير أبحاث علم النفس الديني والطب النفسي المعاصر إلى أن التدين المنضبط — غير القهري ولا الخرافي — يرتبط بعدد من المؤشرات الإيجابية، منها:

• انخفاض معدلات القلق والتوتر

• تحسن القدرة على التكيف مع الضغوط

• ارتفاع الصمود النفسي

• انخفاض الإحساس بالوحدة واليأس

• تحسن جودة الحياة والرضا الذاتي

وقد بيّنت دراسات في علم النفس العصبي أن الممارسات الروحية المنتظمة، ومنها التلاوة والذكر، ترتبط بانخفاض مستويات هرمونات التوتر، وتحسن تنظيم الانفعال والانتباه. كما أظهرت أبحاث متعددة في مجال *Religion & Mental Health* أن الإيمان يمنح المريض إطارًا تفسيريًا يحميه من الانهيار النفسي في الأزمات.

وتجمع هذه الدراسات — كما يجمع المنهج الإسلامي — على أن الإيمان عامل وقائي وداعم، يزيد فاعلية العلاج النفسي والطبي، ولا يحل محله.

الرقية الشرعية: دعم نفسي منضبط لا ممارسة علاجية

يؤكد المنهج الذي قرره مقال *العلاج بالقرآن* أن الرقية الشرعية:

• دعاء وذكر ، دعم روحي نفسي ، ليست علاجًا طبيًا ، ولا تُمارس بعنف أو

استعراض

• ولا تتحول إلى مهنة أو “عيادة”

وأى ممارسة تخرج بها عن هذا الإطار، خاصة في مواسم الإقبال الإيماني، تُعد انحرافاً يضر بالدين وبالصحة النفسية معاً.

خاتمة: حين يلتقي الشفاء بالمسؤولية

العلاج بالقرآن، حين يفهم فهماً صحيحاً، لا يلغي الطب، ولا يدعي ما لم يدعه القرآن نفسه. هو شفاء لما في الصدور، وترميم للمعنى، وبناءً للطمأنينة، ودعمٌ للصحة النفسية غير العضوية.

أما علاج الأبدان، والاضطرابات العضوية، فيبقى خاضعاً لسنن الله في الكون، أي للعلم والطب والتخصص.

وحين يلتقي القرآن والطب في إطارٍ منضبط، تتحقق أعظم معادلة يحتاجها الإنسان المعاصر:

العلاج دون إنكار، والإيمان دون مزايمة، والطمأنينة القلبية دون وهم.

(وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) هكذا قال القرآن... وهكذا يكتمل المعنى.

الباب الثالث:

القرآن ومنظومة الصحة الشاملة من الوقاية إلى التوازن إلى دعم التعافي

أن هذا الدور النفسي للقرآن لا يمكن عزله عن رؤيته الأوسع للإنسان والحياة. فالقرآن لا يكفي بتهدئة القلق أو ترميم الداخل، بل يتجاوز ذلك ليؤسس منظومة متكاملة للصحة، تبدأ بالوقاية، وتقوم على التوازن، وتربط العافية الجسدية والنفسية والاجتماعية بخيط واحد متصل. ومن هنا، يصبح الحديث عن "العلاج بالقرآن" ناقصًا ما لم يُقرأ ضمن هذا الإطار الشامل.

ولا نريد عند الحديث عن "العلاج بالقرآن"، أن يضيق الفهم كثيرًا حين يُختزل في الرقية أو التلاوة فقط، بينما يُغفل الدور الأوسع والأعمق للقرآن بوصفه كتاب حياة شامل. فالقرآن لا يقدم وصفات علاجية للأمراض العضوية، لكنه يتضمن توجيهات ومحاور عامة للوقاية الصحية، وتعزيز العافية، ودعم التعافي النفسي والاجتماعي. وهنا يلتقي المنهج القرآني التقاءً دقيقًا مع التعريف الحديث للصحة، الذي لا يحصرها في غياب المرض، بل في حالة من الرفاه الجسدي والنفسي والاجتماعي. وهو التقاء لا يبدو طارئًا أو متكلفًا، بل نابغًا من رؤية قرآنية شمولية للإنسان.

وبذلك اقتربت المنظمة العالمية كثيرًا من الرؤية القرآنية الشاملة للإنسان. فالقرآن لا ينظر إلى الصحة بوصفها شأنًا طبيًا ضيقًا، ولا يحصر العافية في خلوّ الجسد من العلل، بل يقدّم تصورًا شموليًا للإنسان، تتكامل فيه الأبعاد الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية في إطار واحد. ومن هذا المنطلق، فإن الدور الصحي للقرآن لا يُفهم على أنه "علاج" بالمعنى الطبي، بل منهج متكامل لإصلاح الصحة، والوقاية من الانحراف، ودعم التعافي النفسي والاجتماعي.

****أولًا: المحور البدني للصحة**

الوقاية الجسدية أساس العافية النفسية**

يضع القرآن بعض القواعد الواضحة للصحة البدنية، لا من باب التفصيل الطبي، بل من باب الوقاية السلوكية، التي أثبت الطب الحديث أنها حجر الأساس في صحة الجسد والعقل معًا

وسنكتفي هنا ببعض الامثلة الواضحة:

1.التوازن في الطعام والشراب

يؤسس القرآن مبدأ الاعتدال الغذائي بعبارة جامعة:

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وهو مبدأ يتوافق تمامًا مع أسس الصحة العامة الحديثة،

التي تربط الإسراف الغذائي بالسمنة، وأمراض القلب، واضطرابات السكر، بل

وباضطرابات المزاج والاكتئاب. فاختلال النظام الغذائي لا ينعكس على الجسد فقط، بل يخلّ بتوازن النفس والطاقة والانفعال.

2. تحريم الخمر والتدخين حماية للعقل والنفس

لم يأت تحريم الخمر في القرآن بوصفه قيدًا تعبديًا، بل حماية مباشرة للعقل:

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ... رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾

وقد أثبتت العلوم الطبية والنفسية أن الكحول والتدخين من أهم أسباب:

. الاكتئاب ، القلق ، العنف ، التفكك الأسري ، الانتحار

وهنا يظهر بوضوح أن المنهج القرآني يضرب جذور المرض قبل ظهوره، عبر الوقاية لا التدخل العلاجي المتأخر.

3-النظافة الشخصية والصحة العامة

يربط القرآن بين الطهارة الظاهرة والنقاء الداخلي:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

والنظافة الشخصية — كما تؤكد علوم الصحة العامة — ليست فقط وقاية من العدوى، بل عامل مهم في:

. احترام الذات ، الصورة الذهنية الإيجابية ، تقليل الاكتئاب

• تحسين التفاعل الاجتماعي

****ثانيًا: المحور الاجتماعي للصحة**

الإنسان لا يصحّ منفردًا**

تؤكد منظمة الصحة العالمية أن العلاقات الاجتماعية عامل حاسم في الصحة، وهو ما سبقت إليه الرؤية القرآنية بوضوح لافت.

1. بر الوالدين وبناء الاستقرار النفسي

يربط القرآن بين بر الوالدين والاستقامة النفسية والاجتماعية:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

وقد أثبت علم النفس أن العلاقات الأسرية السليمة تقلل معدلات الاكتئاب والقلق، وتعزز الشعور بالأمان والانتماء، وهما ركيزتان أساسيتان للصحة النفسية.

2. تحسين العلاقات الاجتماعية ومنع التفكك

يدعو القرآن إلى الإصلاح، والتراحم، وصيانة الروابط الاجتماعية:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

وهو ما يتقاطع مع مفهوم "الدعم الاجتماعي" في علم النفس الحديث، الذي يُعد من أقوى عوامل الوقاية من الاضطرابات النفسية، وتحسين الاستجابة للعلاج.

3. الصدقات وأثرها النفسي

لا تُقدّم الصدقة في القرآن كعمل مالي فقط، بل كوسيلة لتطهير النفس:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾

وقد أثبتت الدراسات أن العطاء والعمل التطوعي:

• يخفض التوتر ، يحسّن المزاج ، يعزز الشعور بالجدوى والمعنى

**ثالثاً: المحور العقلي والنفسي

القرآن وبناء العقل السليم**

لا يمكن الحديث عن الصحة النفسية دون التوقف عند العقل والمعرفة، وهنا يبرز بوضوح العمق القرآني.

1. أول كلمة نزلت: تأسيس للصحة العقلية

كانت أول كلمة في القرآن: ﴿اقْرَأْ﴾

وهي ليست دعوة معرفية فقط، بل إعلان صريح بأن العقل هو بوابة الإنسان إلى التوازن والفهم والمعنى. فالجهل، كما تؤكد الدراسات، يرتبط بالقلق، والخرافة، واضطراب التفكير، بينما المعرفة تعزز الاستقرار النفسي.

2. مركزية العلم والعلماء في القرآن

يتكرر ذكر العلم ومشتقاته في القرآن عشرات المرات، ويُرفع شأن أهله:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

وهذا التقدير للعلم والعلماء يؤسس لصحة عقلية قائمة على:

• التفكير ، الفهم ، مقاومة الخرافة

• رفض الدجل باسم الدين

وهي عناصر حاسمة في الوقاية من الاضطرابات النفسية المبنية على الوهم والخوف غير العقلاني.

3.الذكر والطمأنينة النفسية

يخاطب القرآن القلق الإنساني مباشرة:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

والطمأنينة هنا ليست حالة وجدانية مجردة، بل توازن نفسي عميق، يتوافق مع مفاهيم تنظيم الانفعال وخفض التوتر في علم النفس الحديث.

خلاصة هذا المحور

يقدم القرآن رؤية متكاملة للصحة تقوم على:

• جسدٌ يُحفظ بالوقاية

• عقلٌ يُبنى بالعلم

• نفسٌ تطمئن بالمعنى

• مجتمعٌ يُصلح بالعلاقات

وبذلك ينسجم انسجامًا كاملاً مع تعريف الصحة الحديث، دون أن يدّعي علاج الأمراض العضوية، ودون أن ينافس الطب، بل يكمل ما يعجز عنه الدواء وحده.

وهنا تتضح حقيقة "العلاج بالقرآن" في مفهومه الصحيح:

ليس وصفة طبية، ولا بديلاً عن العلاج،

بل منهج حياة يصنع الصحة، ويمنع الانهيار، ويدعم التعافي.

خاتمة البحث

العلاج بالقرآن... استعادة المفهوم في زمن الالتباس

بعد هذا المسار المتدرّج، يتضح أن السؤال الذي انطلق منه هذا الكتاب — هل العلاج بالقرآن علاج عضوي أم نفسي؟ — لم يكن سؤالاً نظرياً، بل ضرورة علمية وشرعية في زمن اختلطت فيه المفاهيم، وتجاوزت فيه الممارسة الطبية الرصينة مع خطاب ديني غير منضبط، يحمّل النص القرآني ما لم يقل، وينسب إليه ما لم يدع.

لقد بيّن الجزء الأول أن القرآن، في نصوصه المحكمة، يحدّد مجال “الشفاء” بوضوح: شفاء لما في الصدر، لا وصفةً لعلاج الأبدان، ولا بديلاً عن الطب، ولا مجالاً لإلغاء الأسباب. وهو تأصيل يحرّر مفهوم العلاج بالقرآن من التوظيف الخاطئ، ويعيده إلى سياقه الصحيح.

ثم جاء الجزء الثاني ليؤكد أن هذا الشفاء القرآني يتجلّى في الدعم النفسي غير العضوي: في ترميم المعنى، وتهدئة القلق، وإعادة التوازن الداخلي، ومرافقة الإنسان في لحظات الضعف والاضطراب التي لا يداويها الدواء وحده، بل تحتاج إلى إطار معرفي ووجداني يمنع الانهيار، دون أن يناقض العلم أو يتجاوزه.

أما الجزء الثالث، فقد وسّع زاوية النظر، مبيّناً أن دور القرآن لا يقف عند الدعم النفسي، بل يمتد ليؤسّس منظومة صحة شاملة تتقاطع بوضوح مع المفهوم الحديث للصحة كما تقرّه العلوم المعاصرة: صحة بدنية تقوم على الوقاية والتوازن، وصحة نفسية تُبنى بالمعنى والطمأنينة، وصحة اجتماعية تتجذّر في العلاقات السليمة والدعم

المتبادل. وفي هذا الإطار، لا يظهر القرآن كتابَ علاج، بل كتابَ بناء إنساني يصنع الصحة قبل أن يطلب علاج المرض.

وهكذا تُغلق الدائرة:

فالقرآن لا يعالج الأمراض العضوية، ولا يُغني عن الطب، ولا يُستعمل بديلاً عن العلاج النفسي المتخصص، لكنه — في حدوده الصحيحة — يصنع الإنسان الأكثر استعداداً للصحة، والأقدر على التعافي، والأصلب في مواجهة القلق والألم.

إن إعادة ضبط مفهوم “العلاج بالقرآن” ليست انتقاصاً من النص، بل حماية له، وليست إضعافاً للإيمان، بل تحريراً له من الدجل وسوء الفهم. فحين يُعاد القرآن إلى موقعه الحقيقي: هدايةً، ومعنىً، ووقايةً، ودعماً نفسياً وأخلاقياً؛ يصبح رافداً أصيلاً للصحة الإنسانية، لا منافساً للعلم، ولا عبئاً عليه.

وفي زمن تتسارع فيه الاكتشافات الطبية، وتتفاقم فيه الاضطرابات النفسية، تبقى الحاجة قائمة إلى هذا التكامل: طب يعالج الجسد، وعلم نفس يفهم السلوك، وإيمان يرمم الداخل. عند هذا التوازن وحده، يستعيد الإنسان عافيته، لا بوهم الشفاء السريع، بل ببناء الصحة على أسس ثابتة.

(قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)

هكذا قال القرآن... وهكذا ينبغي أن يفهم.

أ.د. عبداللطيف المر